مجلة البحث العلمي الإسلامي

Journal of Islamic Scientific Research

(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

المجلد 23 – العدد 85 – سبتمبر 2026

Volume 23 – issue 85 – September 2026

Pages 83 - 104 الصفحات 83 - 104

اللطف في نداء الأقربين في القرآن الكريم وآثاره الدعوية والتربوية

(دراسة موضوعية تحليلية)

Gentleness in addressing close relatives in the Glorious Qur'an and its educational and Dawah impacts

(A thematic analytical study)

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8503

أ.م.د/ عفاف مكاوي محمد قيلي

Associate Professor / Afaf Makkawi Mohammed Gaily

أستاذ التفسير المشارك / أكاديمية الإمام البخاري الدولية

Associate Professor of Interpretation/International Imam Al- Bukhari Academy

Email: umaseeeel2002@gmail.com

Date of Receipt - 2026/05/02 – تاريخ الاستلام

Date of Acceptance - 2026/05/18 – تاريخ القبول

أ.م. د. عفاف مكاوي محمد قيلي
أستاذ التفسير المشارك أكاديمية الإمام البخاري الدولية

Associate Professor Afaf Makkawi Mohammed Gaily
Associate Professor of Interpretation/International Imam Al- Bukhari Academy
Email: umaseeeel2002@gmail.com

اللطف في نداء الأقربين في القرآن الكريم وآثاره الدعوية والتربوية

(دراسة موضوعية تحليلية)

Gentleness in addressing close relatives in the Glorious Qur'an and its educational and Dawah impacts

(A thematic analytical study)

DOI: https://doi.org/10.55625/joisr-8503

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٦/٥/٢ / تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٥/١٨

الملخص

يهدف البحث إلى بيان اللطف في نداء الأقربين في القرآن الكريم مع إبراز آثاره الدعوية والتربوية، ويسلّط الضوء على النماذج القرآنية المختلفة في الحوار بين الأقربين، والأساليب اللطيفة التي تجمع بين الرحمة والحكمة المستخدمة في ذلك الحوار، وبيان آثارها في تعزيز القيم التربوية، ودعم قبول الدعوة.

معتمدًا على المنهج الوصفي التحليلي، مع ما تقتضيه طبيعةُ هذا البحث من التعويل على المصادر الأساسيَّة في التفسير.

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج، منها:

١/ بيّن القرآن الكريم منهجًا حواريًا متميزًا في مخاطبة الأقربين، يجمع بين اللين والحزم.

٢/ يمثّل الحوار اللطيف منهجًا دعويًا وتربويًا متكاملاً وله أثرٌ بيّنٌ في بناء العلاقات الأسرية.

٣ / إن استخدام أسلوب اللطف واللين في نداء الأقربين ينتج عنه القبول وتحقيق الهدف.

الكلمات المفتاحية: اللطف - النداء - الأقربين - الدعويّة - التربويّة

abstract

The research aims to demonstrate the concept of «gentleness» in addressing close relatives in the Glorious Qur'an, highlighting its educational and Dawah impacts. It sheds light on various Qur'anic models of discourse between close relatives and the gentle approaches that combine mercy and wisdom used in such discourse. It also explains their impacts on strengthening educational values and supporting the acceptance of Dawah.

The study adopts a descriptive-analytical approach, relying on primary sources of exegesis as necessitated by the nature of the research.

The research reached several findings, including:

1. The Glorious Qur'an presents a distinct dialogical approach in addressing close relatives, combining gentleness with firmness.

2. Gentle discourse represents a comprehensive educational and Dawah approach and has a clear impact on building strong family relationships.

3. Employing gentleness and kindness in addressing close relatives leads to acceptance and the achievement of the intended goal.

Keywords: Gentleness - Addressing - Relatives - Dawah - Educational impacts

المقدمة

إنَّ الحمـد للّه، نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ به من شرور أنفُسنا وسيِّئات أعمالنا، من يَهدِ اللّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إلهَ إلَّا اللّه وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسوله.

أمَّا بعدُ:

يحتـاج الإنسـان في كل زمان ومكان إلـى المخاطبة بأسلوب رقيق وكلمـات لطيفة، فالنفس البشريـة بطبعها تألـف أسلوب اللين والرفق، وتنفـر من الغلظة والشـدة، فتطمئن لمن يخاطبها بالتي هي أحسن ويحاورها بموعظة تقتنع بها، وتهتدي إلى ما طُلب منها برضا تام.

والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لنبيّنا محمد صلى اللّه عليه وسلم وذلك لبلاغة ألفاظه وأسلوبـه، ولتأثيره البالغ فـي النفوس فهو ينبوع الأدب ومعين الحكمـة، واللّه سبحانه هو اللطيف بعبـاده، وهو الذي أمر بحسن الخطاب فقال ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْـنًا﴾ البقرة /٨٣. وهو الخطاب الحسن الطيب الذي يُحدِث في النفوس أثرًا إيجابيًا.

كمـا بيّن النبـي ﷺ بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلـم، و قرنها ببعض أركان الإيمان، فعن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ قال: (مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ

ليصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)[1]. ومخاطبة الآخر ينبغي أن يسودها التأدّب والتلطّف وصولاً إلى الهدف المنشود، لذا أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بقوله ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ طه /٤٣-٤٤.

ولاستخدام اللطف في حياتنا اليومية أهمية كبرى وذلك لما له من تأثير إيجابي يعكس التقدير والاحترام للآخرين، ويعزّز التفاهم بين الناس ويساعد في بناء علاقات قوية معهم. وأحقّ الناس بالرفق واللين هم الأهل والأقارب، فقد أمر الله النبي ﷺ بقوله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء /٢١٤، لأنهم أولى الناس بالدعوة. وقد حثّ النبي ﷺ على الرفق واللين، ففي الحديث عَنْ عائشة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ)[2].

أ/ أهمية البحث:

١/ يُبرز هذا البحث دقّة التعبير القرآني وسمو اختياره للألفاظ في تحقيق المقاصد بأسلوب رقيق ومؤثر.

٢ / له أهمية تربوية ودعوية لما في هذه العبارات من دروس في أسلوب النداء والحوار يمكن الاستفادة منها في مجالات التربية والدعوة.

٣ / يمكن أن يُسهم هذا البحث في إثراء الدراسات القرآنية، وتعزيز الإفادة من الأساليب الدعوية والتربوية المستمدّة من القرآن الكريم، لاسيما وقد ازدادت الحاجة إليها في هذا العصر.

ب/ أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١/ الكشف عن عبارات اللطف في نداء الأقربين في القرآن الكريم.

٢/ إظهار عظمة الخطاب القرآني في مزجه بين البيان واللطف في نداء الأقارب.

٣ / إبراز القيم التربوية المستفادة من النداء اللطيف في تربية النفوس وتقويم السلوك.

٤/بيان الأُسس الدعويّة والتربويّة المستمدّة من نداءات القرآن التي تتسم باللين والرحمة.

---

(١) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم (١/ ٦٨): كتاب الإيمان: باب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، حديث رقم ٤٧. وأخرجه البخاري (٨ /١١) في كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، حديث رقم ٦٠١٨.

(٢) الطبراني: مكارم الأخلاق: باب فضل الرفق والحلم والأناة (٢٣١/١ حديث رقم ٢٦، وأخرجه أحمد (٧١/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٦١٤٠)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣) والسلسلة الصحيحة (١٢١٩).

ج/ مشكلة البحث:

السؤال الرئيس:

مـا العبارات اللطيفة الـواردة في نداء الأقربين في القرآن الكريـم؟ وتتفرع منه عدة أسئلة فرعية:

١/ ما الأسس والقواعد القرآنية للّطف في خطاب الأقربين؟

٢/كيف تسهم عبارات اللطف في توجيه الدعوة وبناء القيم التربوية؟

د / حدود البحث:

ينحصـر البحث في النصوصـ القرآنية وأقـوال المفسرين دون التقيّد بزمـن النزول، أما حدوده من الجانب الموضوعي فينحصر في اللطف في عبارات النداء للأقربين فقط.

هـ/ منهج البحث:

المنهج المتّبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي. وذلك من خلال:

١/تتبـع آيات النداء الخاصة بالأقربين التـي وردت فيها عبارات اللطف وتفسيرها من كتب التفسير.

٢/تحليل الآيات واستنباط القيم التربوية والأساليب الدعوية منها.

و/ الدراسات السابقة:

١/ اللطـف فـي القرآن الكريم دراسة موضوعية للباحث غـزال صالح غزال، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥٣ عام ٢٠١٨م ، العراق.

٢/ دعوة الأقربين في القرآن الكريم، سليمان بن قاسم العيد، جامعة الملك سعود ١٤٢٣هـ.

٣/ التصويـر القرآنـي للقيم الخلقية والتشريعيـة: علي مصطفى صبـح: المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.

٤/ التلطـف في أسلوب النداء في القرآن الكريـم في ضوء البنية التركيبية والقيمة الدلالية رسالة ماجستير للباحثة آلاء حمود الزواهرة عام ٢٠٢١م.

إلَّا أنَّ مـا يميـز هذا البحث هو دراسة عبارات اللطف التي ذكرها القرآن الكريم على ألسنة المخاطِبيـن لأقاربهـم ،والآثار الدعويـة والتربوية التي نتجـت عن استخدام تلـك العبارات التي اتسمت باللين واللطف.

ز / خطه البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمـة: تضمنت أهمية البحـث، وأهدافه، ومشكلة البحث، وحـدوده، والمنهج المتّبع في

البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: مفهوم اللّطف والنداء

المطلب الأول: تعريف اللّطف وورود لفظه في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف النّداء ومفهوم نداء الأقربين.

المبحث الثاني: اللّطف في نداء الآباء للأبناء في القرآن الكريم

المطلب الأول: اللّطف في نداء نوح عليه السلام لابنه.

المطلب الثاني: اللّطف في نداء لقمان لابنه.

المطلب الثالث: اللّطف في نداء إبراهيم عليه السلام لابنه.

المطلب الرابع: اللّطف في نداء يعقوب عليه السلام لأبنائه.

المبحث الثالث: اللّطف في نداء الأبناء للآباء ونداء الإخوة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: اللّطف في نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه.

المطلب الثاني: اللّطف في نداء أبناء يعقوب عليه السلام لأبيهم.

المطلب الثالث: اللّطف في نداء إسماعيل عليه السلام لأبيه.

المطلب الرابع: اللّطف في نداء هارون لأخيه موسى عليهما السلام.

المبحث الرابع: القواعد القرآنية والآثار الدعوية والتربوية للّطف في نداء الأقربين.

المطلب الأول: القواعد القرآنية للّطف في نداء الأقربين.

المطلب الثاني: الآثار الدعوية والتربوية للّطف في نداء الأقربين.

الخاتمة: تتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم اللطف والنداء

المطلب الأول: تعريف اللطف وورود لفظه في القرآن الكريم

أ / تعريف اللطف لغة: عرّفه ابن فارس (ت / ٣٩٥هـ) بأنه : الرفق والرأفة حيث قال: (لطف) اللَّامُ وَالطَّاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى رِفْقٍ وَيَدُلُّ عَلَى صِغَرٍ فِي الشَّيْءِ. فَاللُّطْفُ: الرِّفْقُ فِي الْعَمَلِ يُقَالُ: هُوَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، أَيْ رَءُوفٌ رَفِيقٌ.)[١].

وذهب زين الدين الرازي (ت ٦٦٦هـ) الى هذا المعنى وزاد بقوله (وَاللُّطْفُ مِنَ اللَّه تَعَالَى التَّوْفِيقُ وَالْعِصْمَةُ... وَ (التَّلَطُّفُ) لِلْأَمْرِ: التَّرَفُّقُ لَهُ). وزاد ابن منظور (ت /٧١١هـ) في المعنى (أَي الرِّفق وَالْبر، وَيُرْوَى بِفَتْح اللَّام وَالطَّاء، لُغَةٌ فِيهِ. واللَّطَف: الْبِرُّ والتَّكْرمة والتَحَفِّي. لَطف به لُطْفاً ولَطافة وأَلْطَفَهُ وأَلْطَفَتْهُ: أَتحَفْته. وأَلْطَفَه بكَذَا أَي بَرَّه بِهِ، وَالاسْمُ اللَّطَفُ، بِالتَّحْرِيك. يُقَالُ: جَاءَتْنَا لَطَفَةٌ مِنْ فُلَانٍ أَي هَدية. وَهَؤُلَاءِ لَطَفُ فُلَانٍ أَي أَصحابه وأَهله الَّذِينَ يُلطفونه)[٢]

وفي المعجم الوسيط: (تلطف: انتقى وترفق، واللطف الهدية، ومن قبل الله تعالى التوفيق والهداية، واللطيف البَر بعباده الرفيق بهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها ... وشيء لطيف ليس بجاف)[٣].

أما تعريف اللطف في الاصطلاح: صفة في الإنسان تجعله يحاول إرضاء الآخرين ومعاملتهم بتهذيب ولياقة ...صيرورة شيء أكثر لينًا، لطف طبع: رقة، عذوبة)[٤] ووضع الراغب (ت/ ٥٠٢هـ) أوصافًا عديدة يمكن إطلاقها على من اتصف به فقال: (وقد يعبّر باللطائف عما لا تدركه الحاسة، ويصح أن يكون وصفًا لله تعالى على هذا الوجه، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم)[٥]. وقد وافقه الغزالي (ت /٥٠٥هـ) -رحمه الله – في هذا المعنى بقوله (إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ومادقّ منها ومالطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف)[٦]

ب/ ورود لفظ اللطف واشتقاقاته في القرآن الكريم :

ورد لفظ (اللطف) واشتقاقاته في القرآن الكريم ثمانِ مرات في ثماني آيات، ومن أمثلة هذه المشتقات: اللطيف – لطيف لطيفًا ليتلطّف. وقد فسّر المفسرون لفظ (اللطف) ومشتقاته بمعانٍ متعددة، ويرجع السبب في ذلك إلى سياق الآية، فقد يأتي اللفظ بمعنى معيّن ويختلف معناه في سياق آخر، مما يدل على بلاغة القرآن الكريم. ففي تفسير قوله سبحانه ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ

(١) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، (٢٥٠/٥ تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ

(٢) زين الدين الرازي: مختار الصحاح (٢٨١/١ تحقيق : يوسف الشيخ ، المكتبة العصرية ،ط٥ /١٤٢٠هـ

(٣) ابن منظور : محمد بن مكرم (: لسان العرب (٣١٦/٩) دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ه

(٤) إبراهيم مصطفى (ت /١٩٦٢م وآخرون : المعجم الوسيط (٨٢٦/٢) ، دار الدعوة مصر ، بدون تاريخ .

(٥) صبحي حموي (ت ٢٠٠٨م : المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق العربي، ٢٠٠٠م ، ص ١٣٨ .

(٦) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن (٧٤٠/١) تحقيق: صفوان الداودي ،دار القلم، دمشق ، ط١/ ١٤١٢هـ.

تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان /١٦.

قال الشوكاني (ت / ١٢٥٠هـ : ﴿إِنَّ الله لَطِيفٌ﴾ لا تخفى عليه خافية ، بل يصل علمه إلى كل خفيّ ﴿خَبِيرٌ﴾ بكل شيء لا يغيب عنه شيء[١]. وفي تفسير قوله سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ الحج/٦٣ . قال ابن عاشور (ت / ١٣٩٣هـ (أَيْ أَنْزَلَ الْمَاءَ الْمُتَفَرِّعَ عَلَيْهِ الِاخْضِرَارُ لِأَنَّهُ لَطِيفٌ، أَيْ رَفِيقٌ بِمَخْلُوقَاتِهِ، وَلِأَنَّهُ عَلِيمٌ بِتَرْتِيبِ الْمُسَبَّبَاتِ على أَسبَابهَا)[٢]

أما السعدي (ت /١٣٧٦هـ) فعند تفسيره لقوله سبحانه ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الشورى /١٩، فقد ذكر عدة معانٍ للطف الله بعباده فقال (... واللطف من أوصافه تعالى ، معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده -وخصوصًا المؤمنين- إلى ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون. فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، ...ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبعث هممهم، ويحصل منهم على الخير والرغبة فيه، ... ومن لطفه، أن قيّض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي)[٣]

وفي تفسير قوله سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام/١٠٣.

قال ابن كثير (ت / ٧٧٤هـ.) : (وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تعالى ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ اللَّطِيفُ بِاسْتِخْرَاجِهَا، الْخَبِيرُ بِمَكَانِهَا)[٤].

قال السعدي (ت / ١٣٧٦هـ.) عند تفسيره لقوله سبحانه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك /١٤ : (ومن معاني اللطيف: أنه الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من (العبد) على بال، حتى إنه يذيقه المكاره، ليتوصّل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة.)[٥]

وقد أورد ابن كثير (ت / ٧٧٤ هـ) أقوال عدد من المفسرين في معاني اللطف ، وذلك

---

(١) الشوكاني : فتح القدير (٢٧٥/٤) ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١/ ١٤١٤هـ.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير (٣١٩/١٧ ، الدار التونسية للنشر تونس ، ١٩٨٤ هـ.

(٣) السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١ ١٤٢٠هـ ، ص /٧٥٦ .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (٣١٢/٣) ، تحقيق : سامي سلامة ، دار طيبة ،ط٢/ ١٤٢٠هـ.

(٥) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مرجع سابق ، ص /٨٧٦.

عتـد تفسيـره لقوله سبحانه ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ الأحزاب /٣٤ ، فقال (وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ أي: بلطفه بكن بلغتـنّ هذه المنزلة، وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك، أعطاكن ذلك وخصكن بذلك.قال ابن جرير (ت / ٣١٠هـ) - رحمـه الله -: (واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمـة، فاشكرن الله علـى ذلك واحمدنه. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًـا خَبِيرًا﴾ أي: ذا لطف بكن، إذ جعلكـن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة. وهـي السنة، خبيرًا بكنَّ إذ اختاركن لرسوله أزواجًـا ، وقـال قتـادة: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِـي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَـاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ قال: يمتـنُّ عليهن بذلـك . وقال عطية العَوْفي فـي قولـه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ يعني: لطيف باستخراجها، خبير بموضعها)[١]

نلاحـظ أن المفسريـن قد أتوا بمعانٍ كثيـرة للفظ اللطف ومشتقاتـه باختلاف مواقعها في السـور القرآنيـة. وتدور حول العلـم بدقائق الأمـور وخفاياها ، والرفيق بعبـاده، والخفي الذي لا تدركه الأبصار . كما أنها جاءت مطابقة للمعاني اللغوية، ولا غرو في ذلك فاللغة العربية من أهم المصـادر في معرفة الألفـاظ القرآنية، كما أن الإحاطة بها من الشـروط الأساسية لمفسر كلام الله سبحانه.

المطلب الثاني: تعريف النداء لغة واصطلاحًا وفهوم نداء الأقربين

أ / تعريفه: عرف علماء اللغة (النداء بعدة تعريفات :

قال الجوهري (ت / ٣٩٣هـ.) : النداء : الصوت)[٢]

و قـال ابـن منظـور (ت /٧١١ هـ.): (و الندى على وجوه : ندى المـاء و ندى الخبر و ندى الشر و ندى الصوت)[٣]

و بهذا فإن معنى النداء هو الدعاء بأي لفظ و رفع الصوت ليقبل عليه المنادى.

أمـا تعريـف النداء في الاصطلاح هو طلـب الإقبال لسماع المطلوب منه سـواء كان أمرًا أو نهيًـا أو إرشـادًا . أما معنى النـداء في القرآن الكريم فقـد فسّره المفسرون بنفس هذه المعاني كما قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُـرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ الكهف/٥٢. (أن النداء: طلب الإقبال للنصرة والشفاعة)[٤]. و هنا نلاحظ تطابق المعنيين اللغوي والاصطلاحي .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق (٤١٦/٦).

(٢) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢٥٠٥/٦) مادة (ندا)، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم لملايين، بيروت، ط٤/ ١٤٠٧ هـ.

(٣)ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق (٣٢٤/١٥)

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٣٤٥/١٥).

وأشهر أدوات النداء في القرآن الكريم أداة (يا) التي ارتبطت بطلب إقبال المدعو؛ ليصغي إلى أمرٍ ذي بال؛ لذا غلب أن يلي النداء أمر أو نهي في أساس فهم الدين، وكذلك المواعظ والزجر والقصص لهذا المعنى.

ب/ مفهوم نداء الأقربين في القرآن الكريم:

الأقربون: قَرُبَ الشيء بالضم يَقْرُب قُرْباً، أي دنا. وتقرب إلى الله بشيء، أي طلب منه القربة. والقُرْبُ ضدّ البُعد. والقَرابة والقُربى في الرحم، وهي في الأصل مصدر، تقول بيني وبينه قَرَابة، وقُرْبٌ، وقُرْبَى ومَقْرَبَةٌ، وقُرْبَةٌ، وقُرُبَةٌ بضم الراء. وهو قريبي، وذو قرابتي، وهم أقربائي، وأقاربي)[1]. والقرابة تشمل الأب والأم والأبناء و الإخوة، وقد كان النداء في القرآن الكريم بهذه الصفات كقولهم (يا أبتِ، يابُني، يا ابن أم ، يابَنيَّ ، يا أبانا). هو بمعنى توجيه الأقارب والأهل والعشيرة كما ورد في القرآن الكريم سواء كان ذلك في التربية أو الدعوة

المبحث الثاني: اللطف في نداء الآباء للأبناء في القرآن الكريم

• يتضمن القرآن الكريم منهجًا تربويًا عظيمًا يهدف إلى بناء شخصية الإنسان، وتقويم سلوكه على أساس متين من القيم والأخلاق. ومن أبرز تلك الأساليب التربوية، استخدام أسلوب النداء ب (يا بُنَيَّ) في مخاطبة الأبناء، وذلك لما يحمله من دلالات اللطف والحنان، واستثارة القبول النفسي وتعزيز الاستجابة التربوية، وقد تكرر هذا الأسلوب في مواضع قرآنية عدة دالاً على عمق أثره في توجيه النشء وتقويمهم.

وتعدّ تربية الأبناء من أعظم المسؤوليات والتي يجب أن يُسلَك فيها أساليب تربوية قائمة على اللطف والرحمة، ومنسجمة مع المنهج القرآني، حتى ينشأوا تنشئة سليمة. وفي هذا السياق يقول الإمام أبو حامد الغزالي (ت/٥٠٥هـ): (الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوّد الخير وعُلّمه ونشأ عليه سعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلّم مؤدّب، وإن عُوّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له)[2]

المطلب الأول: اللطف في نداء نوح عليه السلام لابنه

يعدّ نداء نوح عليه السلام لابنه ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ نموذجًا قرآنياً رفيعاً يجمع بين حنان الأبوة، وحزم الدعوة، حيث أظهر أهمية الحوار العاطفي المباشر، والحرص على الهداية حتى اللحظة الأخيرة، مع التأكيد على أن العقيدة هي أساس النجاة والولاء، مقدّمًا درساً بأن التربية تعتمد على التوازن بين الحب والتحذير.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق (١/ ٦٦٢-٦٦٤).

(٢) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (١٣١٨/١٣) ط١/١٣٩٥هـ، دار الشعب، مصر

قال سبحانه ﴿... وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ هود /٤٢-٤٣ . قال ابن عاشور (جملة يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا بَيَانٌ لِجُمْلَةِ نَادَى وَهِيَ إِرْشَادٌ لَهُ وَرِفْقٌ بِهِ ... و (بُنَيّ) تَصْغِيرُ (ابْن) مُضَافًا إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ. وَتَصْغِيرُهُ هُنَا تَصْغِيرُ شَفَقَةٍ بِحَيْثُ يُجْعَلُ كَالصَّغِيرِ فِي كَوْنِهِ مَحَلَّ الرَّحْمَةِ والشفقة).[1] وقد خاطب ابنه بهذه الصيغة تحبيبًا له أن يسلك طريق المؤمنين، ويبتعد عن مسلك الكافرين المعاندين لأمر الله سبحانه ، فخاطبه بنداء الشفقة والرحمة الذي امتزج بالحسرة، لأنه يدرك ما سيلحقه من عقاب الله، فاستخدم أسلوب الموازنة بين الترغيب والترهيب وهو الجمع بين الدعوة للنجاة ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ والتحذير من عواقب المعصية ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولكن بعد هذا النداء اللطيف، لم يقتنع هذا الولد العاق، وصدّه الكفر عن الاستجابة، وظل مصرّاً على موقفه، وقال ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ ورغم العاطفة الأبوية والشفقة التي أبداها نوح إلا أنها لم تغنِ عن الحق شيئا ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾. كما أن نداء نوح في لحظات الغرق يوضّح أن المربّي لا ييأس من هداية ابنه مهما بلغ انحرافه، فما كان منه إلا أن اتجه إلى ربه ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ هود /٤٥. ولكن لما كانت العقيدة فوق القرابة جاءه الرد حاسمًا من عند الله (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ). فيدل ذلك على أن (الوشيجة التي يجتمع عليها الناس في هذا الدين تتميز عن وشيجة الدم والنسب والقوم والعشيرة ... لأنها قد تنقطع بمخالفة الدين)[2]

خلاصة القول، كان نداء نوح نموذجاً تربوياً يرسّخ القيم الإيمانية بلطف وحزم، ودرساً دعوياً يؤكّد على الصبر والشفقة على المدعوين.

المطلب الثاني: اللطف في نداء ووصايا لقمان لابنه.

لقمان هو أحد أولياء الله الصالحين، وقد وهبه الله الحكمة كما في قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ لقمان /١٢. ومما يدل على عظيم شأنه وعلو منزلته أن ذكر الله خبره في القرآن الكريم.

وتمثّل وصايا لابنه منهجاً تربوياً شاملاً، يهدف إلى ترسيخ العقيدة والعبادة والأخلاق، فهي تربية متكاملة تبني شخصية المؤمن من خلال غرس التوحيد، ومراقبة الله، وبر الوالدين، والأخلاق الفاضلة، والصبر، والتواضع، وتقديم نموذج عملي للتربية بالقدوة والحكمة . قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾

(١) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٧٦/١٢).

(٢) عبد القادر وهمان: أساليب النداء في القرآن الكريم، دار اللؤلؤة للنشر، المنصورة، مصر، ط١/٢٠٢٠م ص/٢٢٣.

وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ لقمان /١٣-١٥. فقد كان يفتتح وصاياه بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ لما فيه من أسلوب اللين وإشعاره بالشفقة عليه، وهي طريقة الأنبياء والمصلحين في خطاب الأقربين. قال ابن عاشور: (وَالتَّصْغِيرُ فيه لتَنْزِيلِ الْمُخَاطَب الْكَبِير مَنْزِلَةَ الصَّغِيرِ كِنَايَةً عَنِ الشَّفَقَةِ بِهِ وَالتَّحَبُّبِ لَهُ، وَهُوَ فِي مَقَامِ الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ إِيمَاءٌ وَكِنَايَةٌ عَنْ إِمْحَاضِ النُّصْحِ وَحُبِّ الْخَيْرِ، فَفِيهِ حَثٌّ عَلَى الِامْتِثَالِ لِلْمَوْعِظَةِ.)[1]. ويعدّ هذا الأسلوب أحد أساليب المنهج العاطفي الذي يرتكز على القلب ويحرّك الشعور والوجدان.

كما تتكرّر هذه العبارة في نصائح لقمان لابنه إيماناً منه بمفعولها في القبول والاستجابة وذلك لأن (في النفس استعداداً للتأثر بما يلقى إليها من الكلام. وهو استعداد مؤقت في الغالب. ولذلك يلزمه التكرار. الموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان. وتهزه هزًّا. وتثير كوامنه، لحظة من الوقت)[2].

وبدأ بصلاح العقيدة (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)، إذ أنها من أعظم المقاصد وأجلّ الغايات، وهو الأساس الذي يُبنى عليه الدين، ويربى عليه النشء.

وهذه الوصية تعكس رؤية قرآنية شاملة تهدف إلى بناء جيل صالح من خلال أسلوب يعتمد على اللطف والحكمة في التوجيه.

ثم يكرّر النداء بقوله ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾﴾ لقمان /١٦. وهنا يذكّر ابنه بقدرة الله وإحاطة علمه بكل الأعمال، فبدأ بقوله ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ مستعطفاً مصغراً له لحمل شيء من غضب الله ولو كان وزنه حقيرًا كحبة الخردل)[3]

ثم كرّر النداء اللطيف مرة ثالثة ليوجّه إليه أوامر مهمة، وينهيه عن أمور أخرى. ففي قوله ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ لقمان /١٧-١٩. جمع لقمان بين أداء الصلاة والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الشدائد، وبين غرس القيم الخلقية السامية للتعامل مع المجتمع فنهاه عن الكبر والخيلاء، وتلويث البيئة بالأفعال القبيحة والأصوات المزعجة)[4]

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق (١٥٥/٢١).

(٢) محمد بن قطب بن إبراهيم: منهج التربية الإسلامية (١/ ١٨٧)، ط١٦، دار الشروق.

(٣) انظر: إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧٢.

(٤) انظر: علي صبح: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ، ص/٢٠٠.

المطلب الثالث: اللطف في نداء إبراهيم عليه السلام لابنه

يعدّ خطاب إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام من أهم النماذج القرآنية في اللطف في نداء الأقربين، كما في قوله سبحانه ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ...﴾ الصافات /١٠٢، قال أبو حيان (ت / ٧٤٥هـ): (قالَ يا بُنَيَّ: نِداءُ شَفَقَةٍ وَتَرَحُّم.)[١]. كما أن هذا الخطاب العاطفي مقدم على التكليف الشاق، وفيه تهيئة للمتلقي لتقبّل الأمر.

وفي قوله ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ﴾ إشعار بأنه أمر رباني إذ أن رؤيا الأنبياء حق. ثم أشركه في القرار بقوله ﴿فانظر ماذا ترى﴾ مما يدل على تقديره لشخصية ابنه وتدريبه على تحمّل المسؤولية، وهذا النموذج القرآني الذي يجمع بين رقّة النداء في ﴿يا بُنَيَّ﴾ والتدرّج في عرض التكليف وإشراك المخاطَب في القرار، كان ثمرته استجابة إيمانية واعية، كما تجلّت في موقف إسماعيل عليه السلام ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ إذ أنه كان يدرك أن ما يقوم به أبوه هو وحي من عند الله، يجب على أبيه أن يمتثل له.

المطلب الرابع: اللطف في نداء يعقوب عليه السلام لأبنائه:

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد عُرف عنه -في القرآن الكريم -استخدامه لأسلوب اللين والشفقة مع الأبناء، كما في قوله سبحانه ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة /١٣٢. قيل: (يعقوب معطوف على إبراهيم أيْ: وَأَوْصَى يَعْقُوبُ بَنِيهِ كَمَا أوصى إبراهيم بنيه... وَوَصَّى بها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ قَالَ: وَصَّاهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَوَصَّى يَعْقُوبُ بَنِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ)[٢]. استخدم يعقوب هذا النداء (يَا بَنِيَّ) وخاطب بنيه مظهراً اللطف والشفقة واللين، ليكون ذلك أدعى لقبول النصح ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: (أي مؤمنون وقيل: مخلصون وقيل: مفوضون... وقيل: محسنون بربّكم الظن.)[٣]. وتكاد تكون هذه الآية الوحيدة التي تدل على نبوة يعقوب عليه السلام، من حيث كونه مبلّغًا عن ربه، آمرًا أبناءه بالتزام الدين وعبادة الله بما شرعه من أحكام)[٤]

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يوسف /٦٧.

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط في التفسير (١١٦/٩) تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت،١٤٢٠هـ.

(٢) الشوكاني: فتح القدير، مرجع سابق (١٦٨/١).

(٣) أحمد بن محمد الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٨١/١) تحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١/ هـ.

(٤) انظر: محمد مشري: مركّب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٩م، ص/٥٥٧.

إن استخـدام يعقوب عليه السـلام صيغة التصغير والتحبيب (يا بَنِيَّ) ينم عن حب وشفقته عليهـم، ليكونـوا أكثر طاعة، ﴿لا تدخلوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِـنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم، لكونهم أبناء رجل واحد)[1].. حيث أمرهم بالتفرق عند دخول مصر، آخذاً بأسباب الوقاية والاحتياط، فأمرهم بالتفرّق لتقليل الانتباه.

وفي قوله ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف /٨٧.

قولـه (يَـا بَنِيَّ): خاطبهـم بنداء البنوة لما فيه مـن العطف والرفق، مقرونًـا بإثارة عاطفة الأخوة لقبول الطلب، فقد أمرهم بأن يتحسسوا أخبار يوسف وأخيه، وألا يقطعوا أملهم ورجاءهم في الله في تحقيق ذلك فإن من يفعل ذلك هم الكافرون الجاحدون.

وعندمـا قصّ يوسف عليه السلام رؤياه على أبيه يريد تأويلها، فعلم يعقوب أنه سـ كون لابنه شأنٌ عظيمٌ فخشي عليه من كيد إخوته، وخاطبه مشفقاً عليه ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يوسف /٥. فكان هذا النداء (يَا بُنَيَّ) تمهيداً لأمره بكتمان هذا الأمر، لأن الإخبار به سيسبب له الكيد والأذى من إخوته.

يمكـن القـول: إنّ النداء اللطيف بلفظ البنوة يعكس رؤية تربويـة متكاملة، تهدف إلى غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفوس الأبناء بطريقة تجمع بين اللطف والحزم، ويعدّ منهجًا يحتذى به في التربية الأسرية.

فهذا الأسلوب يسهم في تعزيز الثقة بين الآباء والأبناء، ويحفّز الأبناء على الالتزام والتفاعل الإيجابي مع التوجيهات.

(١) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص /٤٠١.

المبحث الثالث: اللطف في نداء الأبناء للآباء ونداء الإخوة في القرآن الكريم

إن أَوْلى الناس بالرفق واللين والتلطّف هما الوالدين، فيجب برّهما والرفق بهما في كل مراحل حياتهما، ولاسيما عند الكبر حيث يحتاجان إلى مزيد من الرفق والشفقة، وتخّير الأسلوب الرقيق والألفاظ التي تُظهر العطف واللين والأدب. قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ الإسراء ٢٣/٢٤، ويظهر ذلك في بعض المواضع في القرآن الكريم وذلك باستخدام لفظ (يا أبت) التي تدل على التقرّب، والتودّد والحب.

المطلب الأول: اللطف في نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه

هو أحد أُولي العزم الخمسة من الرُّسل عليهم السلام، وقد ذكر القرآن الكريم شخصية إبراهيم عليه السلام بأبعادها الدينية والنفسية والسلوكية والاجتماعية. وبيّنت النصوص اصطفاءه للنبوة وجعله إماماً للناس، واتخاذه خليلاً، كما كشفت الآيات القرآنية عن رشده وحكمته، وجمعه للمكارم وخصال الخير، وكرمه وجهاده في الدعوة إلى الله وابتلاءاته فيها.

قال سبحانه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ مريم /٤١-٤٥

ويظهر بر إبراهيم عليه السلام بأبيه من خلال دعوته له ليؤمن بالله ويوحّده، ويبتعد عن عبادة الأوثان مُستخدماً في ذلك أرقّ العبارات وألطفها، مُوضّحاً له رغبته الصادقة في إيمانه بالله ليلحق بركب السُّعداء.

وقد كان هدف إبراهيم عليه السلام الأول هو إقرار العقيدة في نفس أبيه، وأن يعبد الله وحده المُتّصف بصفات الكمال المُنزّه عن صفات النقص، لذا عاب على أبيه عبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً. فخاطبه خطاباً يُنبئ عن أدبه الرفيع، فحذّره في لين، وأنذره في لطف، وجادله بأدب وتوقير، فذكر له رابطة الأُبوَّة التي تؤكد حرصه على منفعة أبيه ﴿يا أبت﴾ الذي يحمل معاني الاستعطاف مكرّرا ذلك أربع مرات، مما يدل على إلحاح إبراهيم عليه السلام وتوسّله إليه ليكون أسرع إلى الانقياد والطاعة، واستمالته نحو الهداية والتوحيد، ثم خاطبه ليتبعه ليسلك طريق الهداية ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ قال الألوسي (ت / ١٢٧٠هـ) : (قال يا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ ما لَمْ يَأْتِكَ ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق، وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رقيق له يكون أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق، فاستماله برفق حيث قال: (فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِراطاً

سَوِيًّا) أي مستقيماً موصّلاً إلى أسنى المطالب منحياً عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب.)[1]، ثم بيّن له رأفته وشفقته عليه من أن يمسه عذاب أليم نتيجة متابعته للشيطان ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾، ولكن أباه بقي على عناده وقابل هذا اللطف بالغلظة ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ مريم /٤٦. وعلى الرغم من غلظة أبيه وقسوته عليه إلا أنه قابلها بأدب وتوقير، ووعده بأن يستغفر له ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ مريم /٤٧. وقد وفّى بوعده إلى أن نهاه الله سبحانه وتعالى فانتهى.

نلاحظ أن إبراهيم عليه السلام قد اعتمد على الحجة والإقناع في حواره مع أبيه ملتزمًا في ذلك بالأدب والرحمة والرفق.

المطلب الثاني: اللطف في نداء أبناء يعقوب عليه السلام لأبيهم

أبناء يعقوب عليه السلام هم يوسف عليه السلام وإخوته

أ / نداء يوسف عليه السلام لأبيه ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ يوسف /٤. قال ابن عاشور (وَالنِّدَاءُ فِي الْآيَةِ مَعَ كَوْنِ الْمُنَادَى حَاضِرًا مَقْصُودٌ بِهِ الِاهْتِمَامُ بِالْخَبَرِ الَّذِي سَيُلْقَى إِلَى الْمُخَاطَبِ فَيُنْزِلُ الْمُخَاطَبَ مَنْزِلَةَ الْغَائِبِ الْمُطَّلِعِ حُضُورُهُ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الِاهْتِمَامِ أَوِ اسْتِعَارَةٌ لَهُ.)[2]. قوله (يا أبت) ترمز إلى الرقة في النداء، وتدل على التودد والمحبة والتوقير لأبيه، وقد خصّه بهذا الخبر لأنه أدرك اختلاف هذه الرؤيا عن أي رؤيا سابقة، ولأن أباه هو أقرب الناس إليه.

ب / نداء إخوة يوسف لأبيهم:

قال سبحانه على لسان إخوة يوسف ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١﴾ يوسف /١١. حيث خاطبوا أباهم بقولهم (يَا أَبَانَا) استدراراً لعطفه وتذكيراً برابطة الأبوة والبنوة ليتقبل طلبهم دون تردد وليبددوا شكوكه من إيذائهم ليوسف، كما تخلل هذا الرجاء استنكاراً (مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ) كنوع من التمويه لإخفاء حسدهم تجاه يوسف ومن ثم تنفيذ خطتهم للتخلص منه. قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ يوسف /١٧. قولهم (يَا أَبَانَا) هنا هو محاولة استعطاف والدهم وإظهار التودد، ليصدّق الوالد روايتهم المختلقة، وليُبعدوا عن أنفسهم تهمة التآمر على يوسف.

وفي قوله سبحانه ﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا

(١) شهاب الدين محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٤١٥/٨) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/ ١٤١٥ هـ.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٢٠٧/١٢).

نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ يوسف /٦٣. قال الزمخشري (يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي، لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل نَكْتَلْ نرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه)[1].

وقولهم (يَا أَبَانَا) نداء استعطاف ليقبل والدهم إرسال أخيهم معهم..

وفي قوله سبحانه ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ يوسف /٦٥، وهذا استعطاف آخر لأبيهم لإقناعه بأخذ أخيهم (بنيامين) قال الثعلبي (ت / ٤٢٧هـ): (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتاعَهُمْ الذي حملوه من مصر وَجَدُوا بِضاعَتَهُمْ ثمن الطعام رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قالُوا يا أَبانا ما نَبْغِي أي ماذا نبغي؟ وأي شيء نطلب وراء هذا؟ أَوفي لنا الكيل وردّ علينا الثمن، أرادوا بذلك أن يطيّبوا نفس أبيهم)[2]

وقوله سبحانه ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ يوسف /٩٧، وهنا يظهر استعطافهم واعترافهم بالخطأ، وطلبوا من أبيهم الاستغفار لما اقترفوه في حق يوسف وأخيه.

المطلب الثالث: اللطف في نداء إسماعيل عليه السلام لأبيه

واذا كان خطاب إبراهيم عليه السلام قد اتسم باللطف والرفق في عرض الرؤيا على ابنه، فإن إسماعيل عليه السلام قد تلقى هذا الخطاب بلطف مماثل حيث قال ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ الصافات /١٠٢. مما يدل على استسلامه للأمر الإلهي، وحسن الحوار مع أبيه.

وفي هذا الموقف تتجلى ثمرة اللطف في الخطاب الأسري، وكما ترك إبراهيم عليه السلام الأمر لابنه بقوله (فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) قابله ابنه بحسن الأدب وكمال التسليم لأمر ربه، فكان الحوار بينهما نموذجاً قرآنياً في الرحمة والطاعة والامتثال.

المطلب الرابع: اللطف في نداء هارون لأخيه موسى عليهما السلام

من نداءات اللطف واللين قوله تعالى على لسان هارون يستعطف أخاه موسى عليهما السلام: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ طه /٩٤.

وكذلك قوله سبحانه ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ الأعراف /١٥٠.

قال الزمخشري (ت / ٥٣٨هـ): (كان أخاه لأبيه وأمه فإن صحّ فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب، ولأنها كانت مؤمنة

(١) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢ /٤٨٥)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ / ١٤٠٧هـ.

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، مرجع سابق (٢٣٦/٥).

فاعتد بنسبها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكرها بحقها)[1]. وقيل: إن هارون إنما قال لموسى عليه السلام: «يا ابن أم»، ولم يقل: «يا ابن أبي»، وهما لأب واحد وأم واحدة، استعطافاً له على نفسه برحم الأم)[2].

وقيل إن سبب غضب موسى على أخيه هارون أنه لَمْ يُنْكِرْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عبادتهم لِلْعِجْلِ فأخذ بلحية أخيه ورأسه، فاستخدم هارون هذا النداء اللطيف (يا ابْنَ أُمَّ) لتهدئة غضب موسى وذكّره بصلة الرحم بينهما ثم قدّم اعتذاراً وتبريراً لموقفه بقوله (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي). وهنا ظهر أثر هذا الخطاب اللطيف فرقّ قلب موسى لأخيه، ثم ناجى ربه طالباً المغفرة لهما، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الأعراف ١٥١. قال ابن عاشور (... وَابْتَدَأَ مُوسَى دُعَاءَهُ فَطَلَبَ الْمَغْفِرَةَ لِنَفْسِهِ تَأَدُّبًا مَعَ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَضَبِ، ثُمَّ طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ لِأَخِيهِ فِيمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ تَفْرِيطٍ أَوْ تَسَاهُلٍ فِي رَدْعِ عَبَدَةِ الْعِجْلِ عَنْ ذَلِكَ. وَذِكْرُ وَصْفِ الْإِخْوَةِ هُنَاكَ زِيَادَةٌ فِي الِاسْتِعْطَافِ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُكْرِمَ رَسُولَهُ بِالْمَغْفِرَةِ لِأَخِيهِ)[3].

وفي هذا النداء تبرز حكمة هارون عليه السلام في اختيار الخطاب اللطيف الذي يستميل القلوب، ويخفّف حدّة الغضب، فكان قوله (يا ابْنَ أُمَّ) تعبيراً بليغاً في حفظ المودة وتقريب النفوس.

المبحث الرابع: القواعد القرآنية والآثار الدعوية والتربوية للّطف في نداء الأقربين

يتجلى اللطف في الخطاب القرآني بوصفه سمة أصيلة من سمات المنهج التربوي والدعوي، ولا سيما في نداء الأقربين، إذ تشتد الحاجة إلى استمالة القلوب وترسيخ القبول النفسي قبل توجيهها وإرشادها.

المطلب الأول: القواعد القرآنية للّطف في نداء الأقربين

باستقراء الآيات التي ورد فيها نداء الأقربين، يمكن استخلاص القواعد القرآنية التي تضبط هذا الأسلوب وتؤصل له، ومن أبرزها:

١/ اختيار الألفاظ التي تدل على التودّد والتحبّب:

نلاحظ أن المخاطِبين قد درجوا على انتقاء ألفاظ تحمل في طياتها معاني الرحمة والقرب مثل (يا بني، يا أبت، يا ابن أم، ...) وهي صيغ تُشعِر بالعاطفة والحنان، وتسهم في تهيئة نفس المخاطَب لتلقيّ التوجيه. كما تكشف عن أثر اللفظ اللطيف في تقوية الروابط الأسرية.

---

(١) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مرجع سابق، (٢ /١٦١).

(٢) محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن (١٣/١٣١)، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق (٩/١١٨).

٢/ تقديم التهيئة العاطفية على التوجيه المباشر:

ينتظـم الخطاب التربـوي أو الدعوي وِفق ترتيـب مقصود، يبدأ بنـداء لطيف يهيئ وجدان المخاطَب، ثـم يعقبه مضمون التوجيه، وهذا يجعل المخاطَب أكثر استعداداً للاستجابة والقبول، ويتضـح ذلـك بوضوح في خطاب الآباء لأبنائهـم، والأبناء لآبائهم، والإخـوة لإخوتهم، كما ذكرنا سابقاً.

٣/ التكرار لتعميق الأثر:

يـؤدي التكـرار في سياق نـداء الأقربين وظيفة تأثيريـة متجدّدة، إذ يعيـد تنشيط الانتباه، ويرسخ المعنى في الوجدان دون أن يفقد الخطاب رِقّته، ويظهر ذلك في تكرار نداء (يَا أَبَتِ) في خطـاب إبراهيم عليـه السلام لأبيه، كما يظهر كذلك في تكرار لفظ (يَـا بُنَيَّ) في خطاب لقمان لابنـه، وهو تكـرار يعكس إلحاحاً دعوياً مصحوباً بلطف مستمر. ويظهر حرص الداعي على هداية المخاطَب

٤/ المزاوجة بين اللطف في الأسلوب والحزم في المضمون:

يحقّـق الخطـاب التربوي والدعـوي في نـداء الأقربين توازناً دقيقـاً بين رقّـة التعبير وقوّة التوجيـه، بما يعـزّز فاعليته في الإقناع والتأثير، ويظهر ذلك في نـداء إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا ٤٣﴾ مريـم /٤٣. ثُـمَّ أعقـب ذلك بنصيحة أخرى ليصدّه عما هو فيه بقوله

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ مريـم /٤٤. ونداء نوح عليه السلام لابنـه ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ هـود /٤٢. ونـداء لقمـا لابنـه (يَا بُنَـيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ). حيث اجتمع لطف النداء مع حزم الأمر. ومن هنا ندرك أنّ التربية القرآنية تعتمد على التـوازن بين الترغيب والترهيب، فالأب يقدّم النصح بلغة حانية قريبة من القلب، لكنه في الوقت نفسـه يبيّـن الخطأ ويحذّر مـن العواقب. وكذلك الابن ينصـح أباه بأسلوب يتّسـم بالرقة واللين، ولكنه يصدع بالحق مبيناً له مغبّة أفعاله.

٥/ مراعاة مقام القرابة في الخطاب:

إن علاقـة القرابة تقتضي الشفقة واللين، وهـذا يعني أن درجة اللطف تتكيّف معها، وهو ما يظهر من خلال خطاب هؤلاء المخاطِبين لأقاربهم، حيث اقترن النداء بالحرص والشفقة.

٦/ تجنّب المواجهة الجارحة رغم المخالفة:

علـى الرغـم من جسامـة بعض الانحرافات العقديـة كالشـرك ومتابعـة الكافرين، جاء الخطـاب خالياً مـن التجريح، قائماً على والبيان والتذكير، كما في خطـاب إبراهيم عليه السلام لأبيـه، وخطاب نوح عليه السلام لابنه، فالداعي يجب عليه أن يتلطّف بالقول، فيستعمل في كلامه

وخطابـه مـا يثير رغبة المدعو إلى السماع، ويقمع فيه نـوازع الجهل والنفور)[1]. مما يدل على أن اللطف يعدّ خياراً مهمّاً في الدعوة

٧/ اعتماد أسلوب الحوار في الخطاب:

برز اللطف من خلال الحوار الهادئ القائم على الإقنا لا الإكراه، بما يتيح للمخاطَب فرصة للتفكير والتفاعل، مما يعكس منهجاً تربوياً عميقاً في التعامل مع الأقربين.

وخلاصـة ذلـك أن اللطف في نداء الأقربين فـي القرآن الكريم ليس مجـرد أسلوب بياني، بـل هو منهج قائـم على قواعد محكمـة تراعي الجوانب النفسيـة للمخاطَب، وتـوازن بين التأثير الوجداني والتوجيه الرشيد، بما يجعل هذا الأسلوب نموذجاً رائداً في الخطاب التربوي والدعوي.

المطلب الثاني: الآثار الدعوية والتربوية للّطف في نداء الأقربين

لا يقتصر أثر اللطف في نداء الأقربين على تحسين صورة الخطاب، بل يمتد ليؤدي وظائف دعوية وتربوية عميقة، تُسهم في تشكيل السلوك القويم. وبالنظر في السياق القرآني، يمكن إبراز جملة من الآثار الدعوية والتربوية على النحو الآتي:

١ / تحقيق القبول النفسي للتوجيه:

يساعـد اللطـف في تهيئـة النفس لتلقي الخطـاب دون نفور، حيث يعمل علـى بناء حالة من الاطمئنان الوجداني، فالنفس البشرية تميل إلى الاستجابة لمن يخاطبها برفق.

٢ / زيادة فاعلية التأثير الدعوي:

كلمـا كان الخطـاب لطيفـاً كان أكثر قدرة علـى النفاذ إلى القلـوب، لأن اللطف يفتح مجال الاقتنـاع الذاتـي، ومن ثم يتحـوّل التوجيه من مجرد أمـر إلى قناعة داخلية، وهـو ما يمثّل جوهر العملية الدعوية.

٣ / بناء الشخصية المتوازنة تربوياً:

يـؤدي الخطـاب اللطيف دوراً مهماً في تربيـة جيلٍ متوازنٍ ومتفاعلٍ فـي مجتمعه، إذ يتعلّم المتلقّـي أن اللّطـف لا يتعارض مع الثبـات على المبادئ، ويظهر هذا جلياً فـي وصايا لقمان لابنه التي جمعت بين رقّة الخطاب وقوّة التوجيه.

٤ / تعزيز رابطة المودة وتقوية أواصر القرب:

يسهم اللطف في ترسيخ العلاقات الأسرية، إذ يعكس احترام المخاطَب وتقديره، مما يقوّي أواصـر المحبـة، ولهذا البعد التربوي أهمية كبرى لأن نجـاح التوجيه مرتبط بحسن العلاقة، كما في نداءات (يَا بُنَيَّ) التي تعزّز الانتماء الأسري

(١) انظر: عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١ه، ص /٤٧٢-٤٧٣.

٥/غرس مهارات الحوار الجاد:

يؤسّس اللطف في نداء الأقربين لنمط حواري قائم على التقدير والتدرّج مما ينمّي لدى الأفراد القدرة على التعبير والإقناع بأسلوب لطيف، فالحوار المباشر بين الآباء والأبناء، يعزّز الثقة بين الآباء والأبناء، ويشجّع الأبناء على الاستماع والالتزام بالتوجيهات.

٦/ ترسيخ الأثر التربوي:

يسهم اللطف في بناء تأثير ممتد لقيامه على المحبة والقبول، وبذلك يكون أبقى أثراً في السلوك ..

الخاتمة

أولاً: النتائج :

١/ إن استخدام اللّطف في الخطاب يُسهم في تحقيق القبول ويعزّز الامتثال.

٢/ يكشف البحث عن أن النداء اللطيف بين الأقربين يعزّز الثقة بين الطرفين ويرّسخ القيم الأسرية.

٣/ إنّ عبارات اللطف لها أثرٌ فعّالٌ في تغيير مسار الغضب وتهدئة النفوس.

٤/يرتبط أثر اللطف في الخطاب بمدى استعداد المخاطَب وقابليته للهداية والقبول

ثانيا: التوصيات:

١/ يمكن للمربين والآباء الاستفادة من أسلوب اللطف في الخطاب، لما له من أثر في بناء علاقات تربوية متينة قائمة على المودة والحوار المثمر.

٢/ تضمين مهارات الحوار في البرامج التربوية والتعليمية، بما يسهم في تنشئة أجيال قادرة على التواصل الإيجابي.

قائمة المصادر والمراجع

١ / إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ

٢/ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة مصر، بدون تاريخ

٣ / أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي - بيروت

٤ / أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط١/١٣٩٥هـ، دار الشعب، مصر

٥ / أبو حامد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب دار النشر: الجفان والجابي - قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٦ / أبـو حيان محمد بـن يوسف الأندلسي: البحـر المحيط في التفسيـر، المحقق: صدقي محمد جميل، ١٤٢٠ هـ، دار الفكر - بيروت.

٧ / أحمـد بـن فارس القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغـة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٨ / أحمـد بـن محمد بن إبراهيم الثعلبـي: الكشف والبيان عن تفسير القـرآن، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م

٩ / إسماعيـل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغـة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

١٠ / إسماعيـل بن عمر بن كثير: تفسير القـرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م.

١١/ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

١٢ / زين الدين الرازي: مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩.

١٣ / سليمـان بـن أحمد الطبراني: مكارم الأخلاق للطبرانـي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٤ / شهاب الدين محمود الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١/ ١٤١٥ هـ.

١٥ / صبحـي حمـوي: المنجـد في اللغـة العربية المعاصـرة دار المشـرق العربي، ٢٠٠٠م الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

١٦ / عبـد الرحمـن بـن ناصر السعـدي: تيسير الكريـم الرحمن في تفسيـر كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠.

١٧ / عبد القادر وهمان: أساليب النداء في القرآن الكريم، ط١/ ٢٠٢٠م، دار اللؤلؤة للنشر، المنصورة، مصر.

١٨ / عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ.

١٩ / علي علي صبح: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ

٢٠/ محمـد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنويـر، الناشر: الدار التونسية للنشر تونس، ١٩٨٤.

٢١ / محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠ هـ.

٢٢ /محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ.

٢٣ / محمد بن قطب بن إبراهيم: منهج التربية الإسلامية، ط١٦، دار الشروق.

٢٤/ محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ. ٦ / ٢٥ / محمد مشري: مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، الجمهورية الجزائرية، ٢٠٠٩م.

٢٦/ مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، بدون تاريخ.